

العش الخالي

عن الانكليزية

تفتته بجمالها ويزيده شغفها اشتغالها عنه، وقد تزوج منها ولكنه لم يأنس بزواجها فقد كانت دائماً في حالة تشبه العزلة، وكانت هرب منه فلما رزق منها بيناته الأربع زاد ابتعادها عنه واستمرت حياتها الزوجية خمسة وعشرين عاماً وهو ينتظر، وكان ينظر إلى المرأة ويتسم ابتسامة مرة حينما يذكر أنه تزوج منذ ربع قرن، وهو مع ذلك لا يتقدم إلى زوجته إلا كما يتقدم الشاب إلى فتاة صغيرة

وكان جيلاً قوى البنية، وكانت زوجته لا تريد مع مرور الأيام إلا جلالاً. وكانت شجاعتها تريد مع هذا الجلال نظرت إليه الآن وقالت وهي تشير إلى زجاجات الخمر والأطباق التي على المائدة: « ما هذه الفوضى التي تركت لنا يا براينشو » وكان هذا الاسم هو الذي ينادى به في الطفولة، فنظر إليها وقال يهدوء: « إن اسمي هو جون »

فابتسمت أمام هذا التصريح الهادئ. وتناولت معه طعام المشاء؛ فقال وهو يتهد تهاد الرضى: « منذ كم سنة لم تمش وحدنا؟ » قالت: « منذ سنوات طويلة. مسكنية فرانسين! لقد كان التعب الشديد يادياً عليها »

قال: « ولكن من أجل المصادفات أنها تزوجت في هذا التاريخ »

قالت: « لماذا؟ »

ونظرت إليه بيمينها الجليتين الزرقاوين فأجاب: « ألا تذكرين أن هذا هو تاريخ زواجنا؟ »

قالت: « آه! لقد تذكرت - إنني كنت ناسية »

فمض شفته وبدأ عليه الغضب لنسيانها ذلك اليوم. ثم ملك روعه. وشمر بخفيه الأمل في السعادة التي كان يرجوها لأن زوجته لا تشمر بمثل شموه هذا. وذهبا إلى غرفة المكتب بعد المشاء وكانا يسمعان من القرقة حركة الخدم وهم ينقلون ما على الموائد من الأطباق، وكانت الزوجة واقفة بجانب النافذة تنظر في الظلام إلى أعلى الأشجار وما عليها من أعشاش المصافير وإلى المرات الظلمة في الحديقة الجميلة التنسيق. وكان الزوج جالساً أمام مكتبه، وقد أسند ذقنه بأصابعه وكانت الزوجة تذكر كل خلو المنزل من الموسيقى والنساء.

انتهى يوم العرس وسافرت آخر بنت كانت في الأسرة مع عريسها الجديد، وذهب آخر فريق من المدعويين وهم يضحكون ويمرحون فرحاً بالمرس، وأصبح المنزل هادئاً هدوءاً فوق العادة كأنه خال. فالأب والأم وحدهما في منزلها الكبير، وكان كل منهما يتجنب النظر إلى وجه الآخر وينظر إلى الموائد التي عليها بقايا الوليمة، فن زجاجات الشمبانيا إلى أطباق الفاكهة بأنواع الحلوى المختلفة

وقال الزوج لزوجته: « أليس بالمنزل غرفة لم يدخلها هؤلاء الضيوف؟ » فقالت: « غرفة مكتبك »

قال: « تعالى نذهب إليها » ثم نظر إلى الساعة وقال: جاء وقت المشاء فلنبدل ثيابنا للمائدة »

ثم أبدل وليها ثيابهما، وتذكر وهو خجلان أنه منذ سنوات كان ينتظر هذا اليوم؛ يوم تزوج بناته ويتركن له المنزل وأمنه معه وقد كان يمار من بناته قد كن يشغلها عنه بمطالبهن الكثيرة ولم يجرؤ على الاعتراف حتى أمام نفسه بغيرته منهن، وإنما كان يشمر بذلك ويحجل من شموه، ولكي يكفر عن هذا الشعور كان يقوم برأجباته نحو أبنائه خير قيام فلم يهمل قط واحداً من هذه الرأجبات، ولكنه كان دائماً يشمر بتلك الفيرة من كل شيء. يحول بينه وبين زوجته. وقد ظل كذلك إلى هذا اليوم. ففي العام السالف تزوجت بنتاه (كاتلين) و (كلير) وفي بداية هذا العام تزوجت جبراله واليوم تزوجت الأخيرة وهي فرانسين، وقد كان يحبهن جميعاً ولكنهن كن عتبه في - بيته

واليوم لن نبحث بالمنزل الضجة التي كان يشيرها البنات وصواجهن، وكانت الأم تصرف كل وقتها في خدمتهن ومرشاهن وزوجها لا يثق بأنهن السبب في ابتعادها عنه؛ بل كان يحظر له في أكثر الأحيان أنهما تجملهن ستاراً ليتخفى وراءه منه، وكانت

والضحك واللعب والحديث فقالت : « ألا يبدو المنزل كأنه غير مأهول ؟ »

فهرأسه وعادت هي إلى الكلام فقالت : « أظن جيرالد ستأتي في العام المقبل »

كانت دائماً تفكر في بناتها ، ولم يستطع حلها على التفكير فيه ، فشر الآن بخيبة أمل ، لأنه حتى في هذا الوقت لم يستطع الوصول إلى قلبها . ولكنه سكت فلم يجيبها وعادت إلى الكلام فقالت : « وأظن كبير تستطيع أن تأتي شهراً في الحريف ... مكيئة فرانسيس ! إنني أرجو لها السعادة »

عاد إليه شعوره بالفيرة من بناته ولكنه كتمه كما دونه وسكت ، فقالت : « لقد سمعت من بنت عمي دوليس في الأسبوع الماضي — ولم أستطع إخبارك إلا بعد انتهاء العرس — سمعت أنها تدير الآن نادياً للفتيات في جنوب لوندرا »

نخفت قلب جون وقال : « ثم ماذا ؟ »

قالت : « وقد اقترحت على أن أنضم إليها فهي في أشد الحاجة للمساعدة . وقالت إنني سأكون منفردة هنا مستوحشة بسبب غيبة البنات وهي ترى أن أقيم معها وآتي إلى هنا يوم في الأسبوع . وأنت تنفب عن المنزل طول النهار وفي إمكانك قضاء بقية الأسبوع في غيبتي وحده »

دارت الدنيا أمام عينيهِ وشعر بالذل . ولكن عزته اعبروجة نت إظهار ذله فقال : « افعل ما تريته »

قالت : « وإذا كنت تريدني فأني مستعدة لأداء واجبي »

فقال : « الواجب لا يدخل له هنا »

فقالت : « إننا سنقرر الرأي في هذا الموضوع فيما بعد »

فرأى الزوج أن أي قرار خير من الشك وأن عليه أن يواجه الليلة مالا بد من مراجعته فيما بعد . وهو يريد لها ولكن على غير هذا الشرط فقال : « إنني أرى أن تقرري الرأي الآن »

فالتفت ونظرت إليه في صمت . ولكنه لم يطق أن ينظر إليها . وارتكن إلى ظهر الكرسي وكانت أمامه رزمة من الخطابات فأخذ يقلبها بصويرة آلية ويقرأ العنوانات فأجابته : « سأذهب إلا إذا كنت في حاجة إلى »

فكان رده المختصر : « لست في حاجة إليك »

فتركت الغرفة في الحال وتركته بين أنقاض أحلامه

وبعد أسبوع كان الزوج جالسا وحده . وكانت الزوجة قد ذهبت في اليوم التالي للعرس إلى بنت عمها . وكانت نفس الزوج لا تزال متألة من جرح عزتها . وشعر بالتماسة لاعتقاده أنه كان من الحماقة أن يتركها تذهب دون أن يقاوم ، فهو يشعر بأن الحياة بدونها لا تطاق

وقف أمام النافذة التي وقفت أمامها منذ أسبوع وفكر فيها وفيما عمله الآن . وكانت صورتها المكبرة على الحائط فقال في نفسه : « ترى كيف حالتها الآن ؟ لعلها في خطر ! »

وإنما أتى بهذه الكلمة إلى ذهنه أن أعصابه كانت شديدة الاضطراب . ولم يكن يطبق النظر إلى صورتها

وكانت الغرفة مملوءة بصور أخرى لبناته فنظر إلى تلك الصور وهو يتسم ابقسامة مرة وقال : إنها انتصرت على طول الخط ، وإنني هزمت على طول الخط كذلك

ونظر إلى الساعة ، وكان الليل قد انتصف وتثبتت بذهنه فكرة الخطر ، وفكر في مقدار المسافة التي يقطعها إذا أراد زيارتها ، ولكنه شعر بأن ذهابه في مثل هذه الساعة ليسأل عن صحتها لا يمكن أن يكون إلا حماقة . واختصم في ذهنه العقل مع الغريزة فكانت الأخيرة هي الغالبة

وكان الكل قد ناموا ، ولكن فتحه جراح السيارة لا يستغرق إلا دقائق ، ثم يخرج السيارة ويوقظ السائق ، فيخبره بأنه ذاهب إلى جنوب لوندرا ، وأنه ليس في حاجة إليه وفعل ذلك ، واخترقت سيارة الطرق ، وهو يزيد في السرعة قبل فوات الوقت . ولم يكن قد زار من قبل ذلك النادي الذي تقيم فيه زوجته ولكنه كان يعرف عنوانه ، وكانت الغريزة وحدها هي التي تقوده الآن . ثم تلاشى حكمها ، وتحكم العقل فأسند ظهره إلى الكرسي ، وأخذ يضحك من حماقته ، وهو يخترق الشوارع الخالية .. إلى أين يذهب ؟ لا إلى شيء !

وأخذ يبق الجرس .. فلو رآه أحد في الطرق الخالية لخاله سكران !

ووصل إلى النادي ، فنزل من السيارة ونظر إلى النوافذ ،

يتمكن حينئذ لك . ولكنني لم أكن أستطيع الوصول إليك
لأنك تهريين مني »

قالت : « نعم لأنني خائفة »

قال : « خائفة ! ! من أي شيء ؟ »

قالت : « خائفة من إظهار عجة أكبر من المنزل التي
وضعتني فيها . إن لي عزة نفس ولذلك كنت أجعل بناتي سائرا
حتى لا تراه »

قال : « وكيف عرفت المنزل التي أضحك فيها »

قالت : « عرفت من ذهابك بعد العشاء مباشرة إلى مكتبك
كأنك لا تريد أن تكون معنا »

قال : « إنني كنت أفعل لأنني لا أريد أن أرى صواحب

بناتي ولا تلك العنجة التي تحول بيني وبينك »

قالت : « وكيف لا تسر عندما أكلك عن بناتنا ؟ »

قال : « كيف عرفت ذلك ؟ »

قالت : « إنك خير من يقوم بواجبات الأب . ولكنني
عرفت ذلك من ملاحظتي ما يبدو على وجهك أثناء الحديث عنهن .
وفي يوم الأربعاء الماضي أردت أن أمتحن سمورك وكان خطاب
بنت عمي قد وصل إلي . ولكنني لم أعرف غلطة . وقد جربت
بالتكلم عنه وقلت في نفسي إنك إذا سمحت بذهابي فإن ذلك

سيحرق قلبي . وأنا لم أكن أريد الذهاب إلى بنت عمي »

قطب حاجبيه وقال : « إنك تذكرت عزة نفسك ولم
تذكر عزة نفسي ! وقولك ذلني على أنك تريد الذهاب . وقد
كنت في غيابك تمسأ للناية » ثم وقف فجأة وقال : « لقد كنا
منفلين »

وتناول كفها بين كفيه وقال : « أظنني وجدت نفسك بعد
هذه السنوات ولن أتركك تفلتين بعد الآن »

قالت هامة : « إنني أحبك كما لم أحب أحدا في الوجود »
ثم وضع ثمره فوق شعرها الناعم اللامع وقال : « لك أن
تتكلمي عن بناتنا الآن فامت أنك كنت تتخذين سائرا بيني
وبينك . فإني لا أغار منهن »

فابتسمت وقالت : « لقد أدركت نفسك أيها الطفل

الكبير »

ع . ٥

لم ير إلا دخانا يتصاعد . وأصغى فسمع أصواتا تدل على وجود
حريق في النادى ، فوضع يده في فيه ، وصفر ليدعو الجنود ،
وأخذ يحاول كسر النافذة بالآلات التي يصلح بها السيارة . وفي
الوقت الذي كان يصيح فيه باستدعاء المظاتي استطاع الدخول من
الفتحة التي أوجدتها في النافذة فجرح رأسه ويده ، وكاد الدخان
يخنقه فترجع حتى تمكن من وضع منديل في فيه ، ثم دخل
مفتحما وأخذ يصيح « يا هيلين ! يا هيلين ! » فخرجت إليه
سيدة قال لها : « إن المكان يمحترق ! أين زوجتي ؟ »

قالت : « إنها نائمة في الطابق الأعلى »

ثم صعدت معه وصاح باسمها فخرجت ودهشت وقالت
« لماذا جئت يا جون ؟ »

قال : « أسرعى بقليل من الماء »

فأسرعت وعند عودتها تذكر أنه لم يشرح لها سبب محبته
فقال : « إن النار في البناء ! لا ينبغي أن نضيع الوقت » ثم وضع
منديلا مبلولا آخر حولها وبيل المنديل الذي حول فيه وزل معها
في وسط الدخان التصاعد ، فلما رآها يكاد يغمى عليها حملها بين
يديه ، وكانت الحرارة شديدة حتى يكاد يغمى عليه أيضا ، وخرج
بها من النافذة

كانت الساعة الثالثة صباحا عندما عاد الزوجان إلى منزلها ولم
يبادلا إلا كلمات قليلة وكانت الزوجة شديدة الشحوب وقالت : «
لقد جئت إلى هنا يوم المظلة السالفة . ولكنك لم تجي في »

قال : « نعم هذا هو الواجب علي في هذه الظروف »

قالت : « أي ظروف ؟ » فلم يجب . وقالت :

« ما الذي جعلك تأتي في هذه الساعة وكيف علمت ؟ »

قال : « لا أعلم ولكن كان مستوليا على شمور غريب بأنك
في خطر فأتيت وأنا أعرف أن إطاعة هذا الشمور حماقة ، ولكنني
لم أستطع منع نفسي . وما كنت أصدق القصص التي من هذا
القبيل وكنت أسمع صوتا يقول لي إن زوجتك المحبوبة في خطر »
فسكت مدة طويلة ثم قالت : « لم أكن أعلم أنك تحبني إلى

هذا الحد »

قال : « إنني رجل محتجز يا عزيزتي وقد كنت أعتقد أنك

! ؟ !

* قال الشاعر الألماني جوته لمديقه أكرمان *

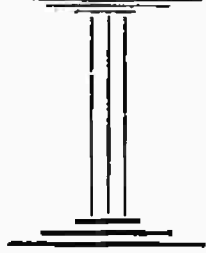
* كل امرئ يأتي عليه حين من *

* دهره يظن فيه أن آلام *

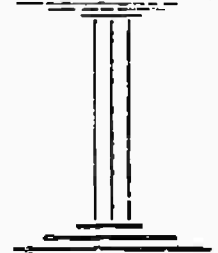
* فرتر إنما كتبت *

* له خاصة *

(التمن ٢٥ قرشاً)



(الطبعة الثامنة)



آلام فرتر

للاستاذ أحمد حسن الزيات

هي القصة العالمية الواقعية الخالدة للشاعر الفيلسوف (جوته) الألماني

تمت ٢٥ فرساً أعدت أجرة البربر .. وهي تطلب من جميع المكتبات ومن إدارة الرسائل

ت : ٢٧٤٩٠